الفصل الرابع

الطِّيَرة ... الفأل ... التشاؤم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ وإن تصبهم سيئة يَطَّيَّروا بموسى ومن معه ألا أنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾

[الأعراف : ١٣١]

﴿ قالوا اطَّيَّرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تُفْتَنُون ﴾

[النمل : ٤٧]

﴿ قالوا إنا تطَيَّرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منَّا عذاب أليم * قالوا طائركم معكم أئن ذُكِّرْتُم بل أنتم قوم مسرفون ﴾ .

[يس : ١٨ ـ ١٩]

obeikandl.com

الطِّيَرة ... الفَأْل .... التَّشَاؤُم

◄ معنى الطيرة والفأل والتشاؤم ، وغيرها :

كان العرب فى الجاهلية يتفاءلون ويتشاءمون ، وكذلك كل الشعوب قديماً وحديثاً ، راقية ومتخلفة ، والتفاؤل والتشاؤم ، والسعد والنحس ، واليُمن والشؤم ، من الألغاز الغريبة فى هذه الحياة .

وقد كان أهل الجاهلية يعرفون الطيرة أى التشاؤم ، وقد اشتقوا هذه التسمية من « الطير » لأنهم كانوا يزجرون الطير ويراقبون حركاتها عند الطيران ، فإذا اتجهت يميناً دلَّت على فأل ، وإذا اتجهت يساراً دلت على شؤم ، فهم يتيامنون فى الأولى ويتشاءمون أو يتطيرون فى الثانية .

وكانوا إذا أرادوا القيام بأى عمل أو سفر أو حرب أو زواج أو تجارة أو غير ذلك من الأعمال ، زجروا الطير ـ وأحياناً الوحش على أنواعه ـ ليقرروا ما إذا كانوا يقومون بهذا العمل أو يمتنعون عنه .، وكانوا يعتقدون أن نحر الذبائح يزيل النحس ، لهذا فهم ينحرون عند الزواج ، وعند دخول العتبات الجديدة ، وغير ذلك من المناسبات ، ولاتزال هذه العادات موجودة إلى اليوم .

وكانوا أكثر ما يتشاءمون من الغُراب ، فهو لديهم غُراب البين ، والناعب بالخراب والبور ، ونذير الموت والشؤم والفراق ، ولذا

اشتقوا منه الغربة والاغتراب ، ولكنهم كانوا يتشاءمون من أشخاص وأشياء وطيور أخرى كثيرة كالبومة والوطواط والأعور والأشقر والعاهات والريح الباردة وأيام النحس ... إلخ[1] .

وفى «**أدب الدنيا والدين**» للماوردى قال : اعلم أنه ليس شيء أضرّ بالرأى ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطِّيَرَة ، ومن ظن أن خوار بقرة أو نعيب غُراب يرد قضاء أو يدفع مقدوراً فقد جهل ، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**»[2] فالعدوى ما يظنه الناس من تعدّى العلل والأمراض فأخبر أنه لا تعدى فقيل يارسول الله إنا نرى النقبة من الجرب فى مشفر البعير[*] فتتعدى إلى جميعه فقال ﷺ : « **فما أعدى الأول** »[3] ، وأما الهامة فهو ما كانت العرب فى الجاهلية تعتقده من أن القتيل إذا طلّ دمه فلم يُدْرَك بثأره صاحت هامته فى القبر اسقونى . قال الزبرقان بن زيد يعنيها :

ياعمرو إلّا تَدَع شتمى ومنقصتى
أضربك حتى تقول الهامة اسقونى

وقال إبراهيم بن هرمة :

وكيف وقد صاروا عظاماً وأقبرا
يصيح صداها بالعشىّ وهامها
تفانوا ولم يبقوا وكل قبيلة
سريع إلى ورد الفناء كرامها

---

(١) حقائق وغرائب [ص/ ١٧٢ – ١٧٣] (بتصرف) .
(٢) أخرجه أحمد فى المسند (١/ ١٨٠ ، ٢٦٩) ، (٢/ ٢٤ ، ٢٢٢) .
(*) مشفر البعير : شفته .
(٣) ذلك فى رواية أحمد وابن ماجه والطبرانى عن ابن عباس .

وأما الصفر فهو كالحبة يكون فى الجو يصيب الماشية والناس وهو أعدى عندهم من الجرب .

وقال الشاعر :

طيرة النـــــاس لا ترد قضاء ... فاعذر الدهر لا تشبه[1] بلـوم
أى يوم تخصه بسعـــــــود ... والمنايـــا ينزلـــن فى كل يوم
ليس يوم إلا وفيـــه سعـــود ... ونحوس تجرى لقـــوم وقـــوم

وقال لبيد :

لعمـرك ما تدرى الضوارب الحصى
ولا زاجـرات الـطير ما الله صانـــع

وحُكى أن المؤمل بن أميل الشاعر لما قال يوم الحيرة :

شَفَّ المُؤَمَّـــل يوم الحيرة النظـــر
ليت المؤمّـــل لم يُخلـــــق له بصر

لمّا قالها عَمِىَ فأتاه آتٍ فى منامه فقال له : هذا ما طلبتَ [2] .

◄ حكم الإسلام فى التَّطَيُّر :

روى الإمام أحمد عن قَطَن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبى ﷺ يقول : « **إن العِيَافة والطَّرْق والطيرة من الجبت** » .

العيافة : زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها ، وهو من عادات العرب ، ولا يزال إلى يومنا هذا .

---

(١) أشَابَهُ الحزن إذا ابيض شعره ، وشابت الرؤوس ابيض شعرها .
(٢) آدب الدنيا والدين [٣٢١ ـ ٣٢٣] (بتصرف) .

الطرق : الخط يُخَطُّ فى الأرض ، وقال أبو السعادات : هو الضرب بالحصى الذى تفعله النساء ، قلت : لعله ضرب الوَدَع الآن .

الطيرة : التطير أى التفاؤل أو التشاؤم بالطير أو الظباء ونحوهما ، وقد نفاهما الشارع وأخبر أنه لا تأثير لها فى جلب نفع ولا دفع ضر ، ولما كانت الطيرة من الشرك[1] المنافى لكمال التوحيد الواجب فإن الآيات والأحاديث النبوية حَذَّرَت منها .

قال تعالى : ﴿ **ألا إنما طائرهم عند الله** ﴾[2] ، وقد ذكر تعالى هذه الآية فى سياق قوله : ﴿ **فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يَطَّيَّرُوا بموسى ومن معه** ﴾ الآية .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال : « **لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر** » .

وفى صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم : أنه قال لرسول الله ﷺ « **ومنَّا أناس يتطيرون . قال : ذلك شىء يجده أحدكم فى نفسه فلا يصدنكم** » فأخبر أن تأذِّيه وتشاؤمه بالطيرة إنما هو فى نفسه وعقيدته ، لا فى المتطير به ، فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذى يطيره ويصده لما رآه وسمعه ، فأوضح ﷺ لأمته الأمر ، وبَيَّن لهم فساد

---

(١) عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعاً : « **الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، وما منا إلا يتطير ، ولكن الله يذهبه بالتوكل** » . رواه أبو داود والترمذى وصححه ، وجعل آخره من قول ابن مسعود .

ورواه الطيالسى وأحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى شعب الإيمان بلفظ : « **الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، الطيرة شرك** » ثلاثاً ـ راجع فتح المجيد شرح كتاب التوحيد [ص/٣٥٥ ـ ٣٧٢] .

(٢) الأعراف : ١٣١ .

الطيرة ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة ، ولا فيها دلالة ، ولا نصبها سبباً لما يخافونه ، ويحذرونه ، ولتطمئن قلوبهم ، وتسكن نفوسهم إلى حد وحدانية الله تعالى التى أرسل بها رسله ، وأنزل بها كتبه ، وخلق لأجلها السماوات والأرض ، وعمّر الدارين الجنة والنار بسبب التوحيد ، فقطع ﷺ علق الشرك من قلوبهم ، لئلا يبقى فيها علقة منها ، ولا يتلبسوا بعمل من أعمال أهل النار ، فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى واعتصم بحبله المتين ، وتوكل على الله ، قطع هاجس الطيرة من قبل استقرارها ، وباد خواطرها من قبل استمكانها .

قال عكرمة : كنا جلوسا عند ابن عباس ، فمرَّ طائر يصيح فقال رجل من القوم : خير خير ، فقال له ابن عباس : لا خير ولا شر ...، فبادره بالإنكار عليه لئلا يعتقد تأثيره فى الخير والشر .

وخرج طاؤس مع صاحب له فى سفر ، فصاح غراب ، فقال الرجل : خير ، فقال طاؤس : وأى خير عند هذا ، لا تصحبنى .

◄ الفـــأل :

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : **« لا عدوى ولا طيرة ويعجبنى الفأل ، قالوا : وما الفأل ؟ قال : الكلمة الطيبة**[1] .

قال ابن القيم : ليس فى الإعجاب بالفأل ومحبته شىء من الشرك ، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة ، وموجب الفطرة الإنسانية التى تميل إلى ما يوافقها ويلائمها ، كما أخبرهم ﷺ أنه حُبب إليه من الدنيا النساء والطيب ، وكان يحب الحلواء والعسل ، ويحب حُسن الصوت

---

(١) أحمد والبخارى ومسلم والطيالسى وأبو داود والترمذى وابن ماجه وابن جرير وابن خزيمة عن أنس .

وفى رواية « **ويعجبنى الفأل الصالح والفأل الصالح الكلمة الحسنة** » .

بالقرآن والآذان ، ويستمع إليه ، ويحب مكارم الأخلاق ومكارم الشِّيَم .

وقال الحليمى : إنما كان ﷺ يعجبه الفأل ، لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق ، والتفاؤل حُسن ظن به ، والمؤمن مأمور بحُسن الظن بالله تعالى على كل حال .

◄ أَخْذُ الفأل من آيات المصحف :

من البدع والضلالات المتعلقة بالفأل أَخْذُ الفأل والبخت من المصحف ، ولا أدرى ماذا يصنع صاحب البخت إذا وقف على آية : ﴿ **فأذنوا بحرب من الله** ﴾[1] أو ﴿ **لنسفعا بالناصية** ﴾[2] أو : ﴿ **ناصية كاذبة خاطئة** ﴾[3] أو : ﴿ **سندعُ الزبانية** ﴾[4] مثلاً !!!!

وفى كتاب « أدب الدنيا والدين » أن الوليد بن يزيد تفاءل يوماً فى المصحف ، فخرج له قوله تعالى : ﴿ **واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد** ﴾[5] ، فَمَزَّق المصحف ، وأنشأ يقول :

أتوعد كل جبار عنيد ... فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر ... فقل يارب مزقنى الوليد

فلم يلبث إلا أياماً حتى قُتل شر قتلة ، وصُلب رأسه على قصره ثم على سور بلده ، فنعوذ بالله من البغى ومصارعه ، والشيطان ومصايده ، وهو حسبنا وعليه توكلنا .

وهذا فعل مذموم يجب تركه ومحاربته ـ أعنى أخذ الفأل والبخت من آيات المصحف ـ والله أعلم .

---

(١) البقرة : ٢٧٩ .
(٢) العلق : ١٥ .
(٣) العلق : ١٦ .
(٤) العلق : ١٨ .
(٥) إبراهيم : ١٥ .